



بيت المقدس بين زمنين: الإسلامي والصليبي

(العمير (الركتور حسن) سعيير (الجمل)

مدير الادارة العامة للسياحة والاثار في فلسطين

تكتسبُ دراسة النُظْم الإداريَّة، في بيت المقدس، ومُحيطها، في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، أهميَّة خاصَّة؛ نظراً لأهميَّة المدينة، ومكانتها، في الوجود الإنساني، حيث شَهِدَتْ مدينة بيت المقدس، في القرون الخمسة الهجريَّة الأولى، قيامَ الدولة العربيَّة الإسلاميَّة، والتي وَضَعَتْ أُسُسَ حضارتها، ونُظْمها الإداريَّة، وحَسَمَتْ مسألة عروبة فلسطين عامَّة، وبيت المقدس خاصَّة، أرضاً، وإنساناً، وسيادةً سياسيَّةً استعصَى بعدها على المحاولات الأجنبيَّة، والمستمرَّة تغيُّرها.

ونظراً لمكانة المدينة، وقُدسيتها، لدى مئات الملايين، في جميع أنحاء العالم، كان عليها أن تعانيَ معاناةً شديدة، فقد تعرَّضت في نهاية القرن الخامس الهجري/ نهاية القرن الحادي عشر الميلادي للغزو الفرنجي، بعد أن لَعِبَتْ المشاعر الدنيَّة القوميَّة دوراً كبيراً في صياغة الأحداث، وكانت هذه المشاعر تولدُ بطريقة مصطنعة، وتوجَّه لخدمة الأغراض الدنيويَّة، فقتلَ معظم سكَّان المدينة، من المسلمين وغيرهم، وأقام الفرنجة مملكتهم، واتخذوا من المدينة

المقدّسة عاصمةً لهم، وأنشأوا عددًا من المؤسّسات الخاصّة بهم، ولم يألوا جهدًا في تغيير النُظم الإداريّة، والسّياسيّة، والاجتماعيّة، والدينيّة، والعسكريّة، والقضائيّة، والاقتصاديّة، والعمرانيّة، في المدينة كافّةً، وإضفاء الصبغة الغربيّة الفرنجيّة على مناحي الحياة فيها كافّةً، الأمر الذي كان جديرًا بالدراسة للتعرف إلى أبعاد هذا الغزو الذي امتدّ قُرابة القرن من الزّمان، في مدينة تُعدُّ ثالثَ المقدّسات الإسلاميّة.

ومن الملاحظ أن موضوع دراسة النُظم والتّغييرات الإداريّة، وبيت المقدس، في القرنين الخامس والسادس الهجريّين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، لم يَنَلْ حظّه من البحث والدراسة، بشكلٍ متكاملٍ الجوانب، ولم يتطرّق الباحثون في الشّرق والغرب، إلى تناول هذا الموضوع الخاصّ، بمدينة بيت المقدس ومحيطها، ولم تُدرَس كثيرٌ من ملامحه دراسةً علميّةً مستقلّةً قائمةً بذاتها، ونظرًا لتناثر المادّة العلميّة في بطون المصادر والمراجع العربيّة والأجنبيّة، رأى الباحث أنّه، من الضّرورة، عمَلُ الدراسة في هذا الموضوع.

ومن الأسباب المهمّة الأخرى التي دَفَعَتِ الباحث إلى اختيار هذا الموضوع، خُلُوُّ المكتبة العربيّة من عملٍ علميٍّ متكاملٍ ومتخصّصٍ، يُبرز فيه النُظم الإداريّة التي كانت تُدار بها المدينة المقدّسة، فترة الحُكم الإسلاميّ، وكيف تغيّرت هذه النُظم الإداريّة، فترة الحُكم الفرنجيّ، وما أحدثه الفرنجة من تغيّرات جذريّة في طبيعة الحُكم الإداريّ، ولذا رأى أن يُبيّن بشيءٍ من التّحليل والتّفصيل، وحسَبَ المصادر والمراجع المتّاحة عن حالة المدينة المقدّسة، في هذه الفترة الحرجيّة من تاريخها، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن الدراسة شَمَلَتِ المدينة وأسوارها، إضافةً إلى القرى والبِقاع المجاورة، كجزءٍ مكملٍ لها .



أمّا عن أهداف الدّراسة، فتتركزُ في عقدِ مقارنةٍ موضوعيّةٍ لمعرفة النُّظم الإداريّة، التي كانت تُدار بها مدينة بيت المقدس، في ظلّ الحكم العربيّ الإسلاميّ، وكيف تغيّرت هذه النُّظم فترة الحكم الفرنجيّ؛ لمعرفة كيف كانت معاملة المسلمين، من خلال نُظُمهم الإداريّة للأماكن المقدّسة، وأصحاب الديانات، والعقائد الأخرى، وبين معاملة الفرنجة للمقدّسات ومخالفهم في العقيدة، ومعرفة الفارق الكبير بين التسامح الإسلاميّ والهمجيّة الفرنجيّة، وتبيان حقيقة العلاقة بين اللاتين الغزاة والمسيحيين الوطنيين (المحليين)، والذين تمّنوا عودة الحكم الإسلاميّ للمدينة مرّةً أخرى، بعد أن أدركوا أنّهم لم ينعّموا بالرخاء والسعادة إلا في كنف النُّظم الإسلاميّة، كما تهدف الدّراسة أيضاً، إلى إبراز الدافع الماديّ للفرنجة، من خلال قوانينهم وأنظمتهم الإداريّة، والاقتصاديّة المتمثّلة في سلْبِ خيرات المنطقة، ونهبها، عدا النُّظم العسكريّة التي حكمت بها المدينة، إضافةً إلى القضاء وأنواع المحاكم القضائيّة، التي أنشأها الفرنجة؛ بما يتلاءم وطبيعة الطبقات الاجتماعيّة للمجتمع اللاتينيّ.

- 1 -

أمّا أهمُّ الإشكالات التي واجهت الباحث، فتكمنُ في تناثر المادّة التّاريخيّة، في بطنون المصادر العربيّة والأجنبيّة، وبخاصّةٍ أنّ مدينة بيت المقدس لم تكن في أيّة لحظة، من تاريخها، في فترة الحكم الإسلاميّ، تُدار بشكل مستقلّ بعيداً عن النُّظم الإداريّة للخلافة الإسلاميّة، سواءً في بغداد، أو دمشق، أو القاهرة، وبهذا فإنّ التّطرُق إلى النُّظم الإداريّة، في بيت المقدس لم يكن بالأمر اليسير، فكان لا بدّ من الرُّجوع إلى ميادين شتّى في الروايات التّاريخيّة، والحوليات، وكتب الجغرافيا، وكتب السير والتّراجم المتّصلة بفلسطين، كولايةٍ سياسيّة، أو كانت متّصلة بأهلها، أو بمجتمعها، أو باقتصادها، حيث كانت المعلومات مختلطةً بالمعلومات الخاصّة بإقليم الشّام، أو بأهله، أو باقتصاده، ما شكّل صعوبةً لا يُستهان بها؛ للوقوف على الحقيقة

التاريخية الكاملة، إضافةً إلى انصراف المصادر التاريخية العربية عن تناول النظم الإدارية، كموضوع رئيس، حيث يُلاحظ أن اهتمامها انصبَّ على تناول الأحداث السياسية، والدينية، والعسكرية، والعمرانية.

أمَّا عن المنهج العام الذي اتَّبعه الباحث عن دراسة النظم والتغيُّرات الإدارية لمدينة بيت المقدس، في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، فقد اعتمد الباحث على عدَّة مناهج كان أبرزها المنهج التاريخي التقليدي القائم على سرد الأحداث والوقائع التاريخية، إضافةً إلى المنهج الوصفي الضروري، في هذه الدراسة المتعلقة بالنظم الإدارية والحضارية، علاوةً على المنهج المقارن القائم على المقارنة بين النظم الإدارية، للمدينة المقدَّسة، ما قبل الغزو الفرنجي، وما بعده، كما تمَّ الاستعانة بالمنهج التحليلي المرتكز على تحليل أبعاد النظم الإدارية التي أوجدتها الفرنجة، وحكموا بها المدينة؛ بما يُحقِّق أهدافهم الاستعمارية. تمَّ تقسيم البحث إلى خمسة فصول، سبقها مقدِّمة اشتملت على دراسة تحليلية لأهمِّ مصادر البحث ومراجعته. وتناول الفصل الأول وعنوانه، النظم والتغيُّرات الإدارية في بيت المقدس، ومحيطها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، يبدأ الفصل بنبذة تاريخية عن أحوال بيت المقدس ما بين القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، تلا ذلك نبذة عن فلسطين ونظمها الإدارية من المصادر التاريخية، فتمَّ تناول نظام الحكم والإدارة، في بيت المقدس مُتعرِّجًا لسياسة الفاطميين والسلاجقة الأتراك، في تعيين الولاة في المدينة، وسائر المدن الفلسطينية، إضافةً إلى النظم والسلطات الإدارية في المدينة المقدَّسة، والتي تشمل الولاة والقضاة، والدعاة، والشُرطة، والحسبة.

أمَّا الفصل الثاني فتناول النظم الحضارية، في بيت المقدس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وشمل هذا الفصل النظم الاجتماعية



للمدينة المقدّسة، متضمّناً طبقات المجتمع، في بيت المقدس، بما في ذلك أهل الذمّة من يهودَ ونصارى، وعلاقتهم بالسلطات الحاكمة، وكذلك العلاقات الاجتماعية، والاحتفال بالأعياد الدنيّة، وعادات سُكّان المدينة، وتقاليدهم، كما تناول الفصل النُظم العسكريّة للجيشين الفاطميّ والسُلجوقيّ، من حيث البنية البشريّة والتركيبة العسكريّة للجيشين، عدا العقيدة القتاليّة، وفرّق الجيوش الفاطميّة والسُلجوقيّة التي حكمت بيت المقدس، طيلة فترة القرن الخامس الهجريّ/ الحادي عشر الميلاديّ.

وفي الفصل الثالث، وعنوانه طبقات المجتمع في بيت المقدس، ومحيطها، في أثناء الحكم الفرنجيّ/ الصليبيّ (1187-1099 ميلاديّ/ 583-492 هجريّ)، حيث أبرزَ الباحثُ هذه الطبقات، ويأتي في مقدّمتها طبقة اللاتين التي قُسمت إلى عدّة أقسام، كالطبقة الحاكمة، أو ما يُعرف بطبقة النبلاء، وطبقة رجال الدين، وطبقة البرجوازيين، وطبقة الأفراخ (البولانيّ)، وطبقة الأقيان والعبيد، أمّا القسم الثاني من الطبقات الاجتماعية فهي طبقة المسيحيين الشرقيين، وتناول الباحث طبيعة علاقتهم مع الفرنج، فترة الحكم الفرنجيّ، كما تمّ التعرّيجُ إلى الطوائف الدنيّة لهذه الطبقة، والتي شملت السريان الموارنة والكرج.

- 2 -

(الجورجانيّين) والنساطرة، والرُوم (البيزنطيّين) واليعاقبة، والأحباش، والأقباط، وتناول هذا الفصل أحوال المسلمين واليهود، ومصيرهم، فترة الحكم الفرنجيّ للمدينة، كما تناول الباحثُ الطبقات الاجتماعية التي سكّنت المدينة المقدّسة، بعد تحريرها من الفرنجة، عام (1187 ميلاديّ/ 583 هجريّ)، والتي شملت النصارى والمسلمين، واليهود.

وفيما يتعلّق بالفصل الرابع، فكان بعنوان النُظام السياسيّ، والقضائيّ، والعسكريّ، في بيت المقدس في فترة الحكم الفرنجيّ/ الصليبيّ، واستهلّه

الباحث بتناول النُّظام السِّياسيِّ، من حيثُ مَنْصِبِ المَلِكِ - منصبُ الوصيِّ - منصبُ النَّائبِ، وشملَ النُّظامَ السِّياسيِّ والجهازَ الإداريِّ، في البلاطِ المَلِكِيِّ، وكبارِ موظِّفيه، مثلِ (الكَهْرَمَانِ، أو السَّنْشالِ، والكوندستبال، والمارشالِ، والمُحتَسِبِ، والحاجِبِ، أو الياورِ، والسَّاقِي، والصَّاحبِ، أو الضَّامنِ، وكُتِّبِ الأرشيفِ)، أمَّا النُّظامُ القضائيُّ، فقد تناولَ المنظومةَ القضائيَّةَ التي طبَّقها الفرنجةُ في المدينة، مُستعرضًا المحاكمَ التي أنشأوها بعد سيطرتهم على المدينة المقدَّسة، وتكوَّنت هذه المحاكمُ من (المحكمةِ القضائيَّةِ العليا - المحاكمِ البرجوازيَّةِ - محاكمِ المُدن - المحاكمِ الوطنيَّةِ - محكمةِ السُّوق - محكمةِ القرية - المحاكمِ الكنسية - محاكمِ الهيئاتِ الدينيَّةِ والعسكريَّةِ ”الإسبتاريَّةِ والدَّاويَّةِ).

وتناولَ النُّظامَ العسكريَّ القيادَةَ العسكريَّةَ العليا للجيشِ الفرنجيِّ، المتمثلة في المَلِكِ ونائبه، والكوندستابلِ، والمارشالِ، كما تناولَ أيضًا المصادرَ البشريَّةَ التي اعتادَ عليها الجيشُ الفرنجيُّ، من حيثُ (خدماتِ الإقطاعيِّين، والكنيسة، والمُرتزقةِ المأجورينَ، عدا خدماتِ الهيئاتِ الدينيَّةِ العسكريَّةِ ”الإسبتاريَّةِ والدَّاويَّةِ“)، كما تطرَّقَ الفصلُ إلى أقسامِ، وفِرَقِ الجيشِ الفرنجيِّ، والأسلحةِ التي استخدمها كلُّ من الفرسانِ والمُشاة؛ بما في ذلك أسلحتهم الشَّخصيَّةِ والفرديةِ، والهجوميةِ الثَّقيلةِ، والقلاعِ العسكريَّةِ، واخْتِتمَ الفصلُ بتناولِ التَّحدِّياتِ التي واجهتِ الفرنجةَ في بيت المقدس، وكيف استطاعوا التَّغلبَ عليها، من خلالِ التَّخطيطِ الاستراتيجيِّ العسكريِّ، والتَّكتيكِ الحربيِّ الميدانيِّ.

أمَّا آخرُ فصولِ الدِّراسةِ، وهو الفصلُ الخامسُ، فقد جعله الباحثُ تحتَ عنوانِ ”النُّظمِ الإداريَّةِ والحضاريَّةِ في بيت المقدس، ومحيطها، في أثناء الحُكمِ الفرنجيِّ“ وفيه تناولَ الباحثُ التَّغيُّراتِ الدينيَّةَ على الأماكنِ الدينيَّةِ المقدَّسةِ، بعد سيطرةِ الفرنجةِ عليها، هذا إلى جانبِ النُّظامِ الاقتصاديِّ، والمواردِ الماليَّةِ للفرنجةِ، وشَمَلَ النُّظامَ الإقطاعيِّ الذي طبَّقه الفرنجةُ في



بيت المقدس، من زراعة، وثرورة حيوانية، وتجارة، وصك النقود، والضرائب بأنواعها، كما تطرّق الفصل إلى تغيير الطابع المعماري لمدينة بيت المقدس، والتغيرات التي حصلت على الكنائس، داخل أسوار المدينة وخارجها، إضافة إلى التغيرات في المباني المدنية، والمشافي الطبية العسكرية للمدينة. وتبقى هذه الدراسة عملاً متواضعاً، من تاريخ مدينة بيت المقدس، وخاصةً في فترة معينة حافلة بالأحداث والمعاناة، حيث سعت الدراسة إلى إبراز النظم الدينية التي كانت تدار بها المدينة، فترة الحكم الإسلامي والتغيرات التي طرأت على نظام الحكم والإدارة، فترة السيطرة الفرنجية، فإن أحسنت الصنع فيها، فذلك بتوفيق الله، عز وجل، وإن أخطأت فمن نفسي، أملاً من الله، العليّ القدير، أن يُعينني على سدّ ثغراتها، وتلافي نواقصها، وأن يُلهم الباحثين والمتخصصين، والمهتمين بهذا الحقل، في تصويب هفواتها، وإظهار حقائق جديدة في طبيعة التغيرات الإدارية للمدينة المقدسة.

- 3 -

نبذة عن فلسطين، ونظمها الإدارية في المصادر التاريخية

تعدّ النظم الإدارية، في فلسطين طيلة فترة خمسة قرون، من القرن الأوّل إلى القرن الرابع الهجريّ/ السابع حتّى الحادي عشر الميلاديّ، جزءاً من النظم الإدارية للحضارة العربية والإسلامية، التي حكمت المنطقة العربية، ولم تكن مستقلة بذاتها؛ ولهذا فمن الصعب أن نجد لها كياناً حضارياً خاصاً بها، ذات خصائص وسمات تميّزها عن بلاد الشام، وباقي المنطقة، ولعلّ هذا هو السرّ في أننا لا نجد لفلسطين في مصادرنا العربية والإسلامية، بحوثاً خاصةً، وعناوين مفردة، تميّزها عن غيرها.

كوَحدةٍ إداريّة، لها خصائص وأبعادٌ، بل كانت قطعةً من التركيبة الحضاريّة العامّة للحضارة العربيّة الإسلاميّة¹.

وكانت النُظم المختلفة، في فلسطين، سواءً إداريّة، أو اجتماعيّة، أو دينيّة، أو فكريّة، أو عمرانيّة مشتركة مع النُظم التي سادت مِصرَ من جهة، ومع بلاد الشّام من جهةٍ أخرى، حيث كانت المشاركة، في فلسطين أكثر عمقًا وسعةً، في العصور الإسلاميّة الخمسة الأولى، من الأوّل حتّى الرابع الهجريّ/ السابع حتّى الحادي عشر الميلاديّ، وكانت في أخذٍ وعطاءٍ مع العالم الإسلاميّ، ولهذا بات من الصّعب على مَنْ يُريد أن يبحث في تاريخ فلسطين بعامة، أن يُغضّ الطّرف عمّا كان يجري في الأقطار الأخرى، هذا من ناحية، أمّا من النّاحية الثّانية، فإنّها تتعلّق بمصادر تاريخ الفاطميّين، في القرن الخامس الهجريّ / الحادي عشر الميلاديّ، إذ إنّ المعلومات الواردة عن هذه الفترة في المصادر التّاريخيّة المتوافرة، قليلةٌ جدًّا، إضافةً إلى عدم توافر معلومات كافيةٍ عن النّظام الإداريّ الفاطميّ².

وإذا كان هذا هو حال مصادر التّاريخ الفاطميّ، في مِصرَ مركز الخلافة الفاطميّة، فكيف يكون حال النُظم الإداريّة، في فلسطين بعامة، وبيت المقدس بخاصّة؟³، فعندما يؤرّخ مدينة بيت المقدس لا يُمكن للباحث، ضمن هذه المُعطيات أن يتغاضى عن دراسة أحوال المُدن الشّاميّة، والمِصريّة الكبرى، مثل دمشق، والقاهرة، وطرابلس، والإسكندريّة، وحلب، وصار يتعيّن عليه أن يرجع إلى كلّ المؤلّفات الخاصّة بموضوع البحث، ككُتب الجغرافيا، وأدب الرّحلات، وكُتب الأنساب.

1. شاكر مصطفى: فلسطين ما بين العهدين الفاطميّ والأيوبيّ، الموسوعة الفلسطينيّة، القسم الثّاني، (ط1)، بيروت، 1990).

2. ابن الصيرفيّ، الإشارة، ص16.

3. درويش النخيليّ، فتح الفاطميّين للشّام في مرحلة الأولى من 358 إلى 362 هـ (الإسكندريّة، مؤسسة التّحفاة الجامعيّة، 1979م)، ص 341، حيث أشار الباحث إلى أنّ المصادر التّاريخيّة للدولة الفاطميّة قد أغفلت ذكْر مدينة بيت المقدس عندما سقطت فلسطينُ بيد الفاطميّين.



- دخول التُّرك الغزو إلى الشَّام، مقال في مجلَّة المؤتمِر الدَّوليِّ لتاريخ بلاد الشام (الأردن، 1974م).

- 4 -

وقبل العهد الفاطميِّ كانت فِلَسْطِينُ تُقسَّم إلى ولايَتَيْنِ؛ وَفَقَّ مفهوم الأجناد، الشَّماليِّ وَيُضَمُّ الأردنَّ وقصَبَتَة عاصمَتُه طبريَّا، وَيُضَمُّ المَدَن والمناطق الواقعة ما بين يافا (وقيسارية)⁴، وجنوب بيسان «وَصَوْلًا إلى البلقاء» وعمَّان، أمَّا القسم الجنوبيُّ وقصَبَتُها «عاصمَتُها» الرَّملة فتبدأ حدودها الإداريَّة من شمال يافا والرَّملة إلى شمال القدس، أمَّا شرقًا فتمتدُّ إلى أريحا، ثمَّ تنحرفُ إلى زغر⁵ ووصولًا إلى معان⁶. ومن هنا يظهرُ أنَّ بيت المقدس كانت تتبَّع إداريًّا إلى القسم الجنوبيِّ من فِلَسْطِين، وقصَبَتِها الرَّملة.

4. خليل عثامنة، فلسطين ما بين العهدين الأيوبيِّ والمملوكيِّ (1187-1516)، (ط1)، مؤسَّسة الدِّراسات الفِلَسْطِينِيَّة بيروت، 2006، ص3.

- فلسطين ما بين العهدين الأيوبيِّ والمملوكيِّ (1187-1516)، (ط1)، مؤسَّسة الدِّراسات الفِلَسْطِينِيَّة، بيروت، 2006.

- فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلاميِّ حتَّى الغزو الفرنجيِّ (634 هجري / 1099م)، ط1، مؤسَّسة الدِّراسات الفِلَسْطِينِيَّة، بيروت، 2000م.

- القدس والإسلام، دراسة في قَداسَتِها من المنظور الإسلاميِّ (ط1)، مؤسَّسة الدِّراسات الفِلَسْطِينِيَّة، بيروت، 2013م.

البلقاء: مدينة من أعمال دمشق بين الشَّام، ووادي القري، قصَبَتُها (عاصمَتُها) عمَّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وسمَّيت بلقاء من البَلق، وهي سواد وبياضٌ مختلفان، والبلق: أيضًا الفُسْطاط، راجع ياقوت، المصدر نفسه، ج1، ص 489.

5. زعر: هي قرية أثريَّة بمشارف الشَّام، تقع على طَرَفِ البحر الميت، في وادٍ هناك، بينها وبين البيت المقدس ثلاثة أيَّام، وهي من ناحية الحجاز. راجع ياقوت، المصدر نفسه، ج3، ص 142-143، محمد محمد شرَّاب، المرجع نفسه، ص 431.

6. معان: مدينة تقع جنوب الأردنِّ في طَرَفِ بادية الشَّام تَلقَاء الحجاز من نواحي البلقاء. راجع ياقوت، المصدر نفسه، ج5، ص 153.

شيخ الرُّبوة نخبة الدهر، ص 258؛ ابن خرداذبة، المسالك، حيث يقول ص 78: "ثمَّ إلى الرَّملة مدينة فِلَسْطِين (أَيَّ عاصمَتِها)، كما استخدم اصطلاح كُورة بدلَ قصبة، فيقول: كُورة الرَّملة، وكُورة إيليا، وهي بيت المقدس؛ شاكر مصطفى: فِلَسْطِين ما بين العهدين 434؛ عمر الصالح البرغوثي و خليل طوطح، تاريخ فلسطين، مكتبة الثقافة الدينيَّة، بور سعيد، ب.ت) ص 95؛ أحمد أيبش: دمشق في مرآة رحلات القرون الوسطى، ج1، (ط1)، أبو ظبي للثقافة والتُّراث، الإمارات العربيَّة المتَّحدة، 2009م) ص 254.

أما حدود بيت المقدس الجغرافية، في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فقد أشار المقدسي البشاري إلى ذلك: وحدّ القدس ما حول إيليا إلى أربعين ميلاً، يدخل في ذلك القصة ومدنّها. واثنى عشر ميلاً في البحر، وزعر ومآب، وخمسة أميال من البادية، وما قبل القبلة إلى ما وراء الكيفة، وما يحاذيها، ومن قبل الشمال تخوم نابلس⁷، حيث يتبع لها ضمن هذه الحدود كلّ البلدات والمدن، والقرى الواقعة في الجنوب⁸، ولم تشهد مدينة بيت المقدس والمدن الفلسطينية كافة، فترة أكثر اضطراباً، ولا أكثر تبايهاً في نظام الحكم، وتغيّراً في السلطات الحاكمة التي توالّت عليها، من فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر، والثاني عشر الميلاديين، فبعد أن خضعت لحكم الفاطميين ما يقارب قرنًا من الزمان (وما تخلّها من ثورات واضطرابات مع القبائل البدوية) وقعت بيد السلاجقة الأتراك، ثمّ ما لبثت أن سقطت بيد الفرنجة الصليبيين الذين حكموها بأنظمة وقوانين إقطاعية حربية غريبة، بعيدة كلّ البعد عن طابعها العربي الإسلامي إلى أن استطاعت القوّات الأيوبية بعدما يقارب تسعين عامًا، من تحريرها من الغزو الأجنبي.

7. نابلس: تقع في وسط فلسطين، ويحدها جنوباً بيت المقدس، وشمالاً جنين، وهي مستطيلة قليلة المرص، سميت بدمشق الصغرى. يُنظر: المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم، ص 174؛ عبد الله عارف: نابلس، دراسة إقليمية، دمشق: جامعة دمشق، 1964م ص 34.

8. المقدسي البشاري، المصدر نفسه، ص 73؛ يعقوبي، كتاب البلدان، (ليدن، مطبعة بريل، 1893)، ص 328-329، ويُنظر أيضاً: إلى حدود بيت المقدس عند ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 79؛ الإدريسي، نُزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، ص 363؛ الأصطخري، المسالك والممالك، (ليدن، مطبعة بريل، 1927)، ص 25، ابن حوقل، صورة الأرض، مرجع سابق، ص 58.



ومن التَّغْيِراتِ الاجتماعيَّة الضَّروريَّة التي يجب التَّطَرُّق إليها، في هذه العُجالة، هو الحياة الاجتماعيَّة، والتَّغْيِرات التي حصلت في المدينة المُقدَّسة، فترة الحُكم الفرنجيِّ.

وقد قُسمت طبقات المجتمع في بيت المقدس إلى:

1. (اللَّاتين) وقد قُسمت إلى الطبقة الحاكمة (النُّبلاء) - طبقة رجال الدِّين - طبقة البرجوازيِّين - طبقة الأفراخ - طبقة الأقيان "العبيد".
2. المسيحيِّين الشَّرقيِّين وطبقاتهم:
 - أ. العُلاقة بين الفرنجة والمسيحيِّين الشَّرقيِّين في بيت المقدس .
 - ب. الطوائف المسيحيِّين الشَّرقيِّين في بيت المقدس:
(السُّريان - الموارنة - الكرج - النُّساطرة - الرُّوم - اليعاقبة - الأحباش - الأقباط).

3. المسلمين.

4. اليهود

سكان بيت المقدس بعد تحريرها من الفرنجة عام 583 هجريّ / 1187 ميلاديّ، فكانوا:

أ. النُّصاري ب. المسلمون ج. اليهود

طبقات المجتمع في بيت المقدس ومُحيطها، في أثناء الحكم الفرنجيِّ الصَّلبيِّ (1187_1099/583_429)

سقطت المدينة المُقدَّسة بيد الفرنجة يوم الجمعة، الثَّاني والعشرين من شعبان 492 هجريّ / 15 من يوليو⁹ 1199، بعد حصار شديد لها دام أربعين يومًا، حيث ارتكب الفرنجة مذبحه رهيبه، ذَهَبَ ضحيتها سكان المدينة من

9. ابن القلانسيّ، ذيل تاريخ دمشق، ص 137.

المسلمين واليهود¹⁰، وحلَّ محلَّ سكَّانها أعدادٌ كبيرة من الفرنج الأوروبيين الذين جاءوا مع الحملة الصليبية الأولى، وكان معظمهم من فرنسا وألمانيا، وإسبانيا، وإيطاليا، وغيرها من البلدان الأوروبية، وهم ينتمون إلى مُدُنٍ ومقاطعات مختلفة في الغرب الأوروبي¹¹، وقد واجهَ المجتمع الفرنجي في بداية تكوينه عديداً من المشكلات والعراقيل المتعلقة بنقصِ العنصر البشريِّ، داخلَ المدينة المقدَّسة، فضلاً عن المقاومة الشعبيَّة الإسلاميَّة التي شكَّلت خطراً حقيقياً عليهم، ما انعكس على أوضاع المدينة في المجالات الاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، والسياسيَّة، كافةً¹².

10. مصطفى مراد الدبَّاغ، بلادنا فلسطين، ج 9، ق 2، ص 166_168؛ ماهر أبو السَّعيد، مدينة القدس تحت حكم اللاتين (1099_1187م/492_583 هجري)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمنهور، كليَّة الآداب، التَّاريخ، ص 104.

11. الرحالة المجهولون، وصف الأرض المقدَّسة، ص 59.

12. للمزيد أيضاً رينوندا جل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م، ص 258؛ سايلوف، وصف رحالة الحاج سايلوف، ص 23، وصف مدينة بيت المقدس عند الرِّحالة ثيودريش، وصف الأماكن المقدَّسة في فلسطين للرِّحالة الألماني ثيودريش القرن السَّادس الهجري/الثَّاني عشر الميلادي، ترجمة وتحقيق ودراسة سعيد البيشاوي ورياض شاهين، دار الشروق، رام الله، فلسطين، 2003، ص 55، 57، 59، يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدَّسة.



طبقات المجتمع في بيت المقدس بعد خضوعها لسيطرة الفرنجية // اللاتين:

أ) الطبقة الحاكمة طبقة النبلاء، حيث طبَّق الصليبيون النظام الإقطاعي في بيت المقدس¹³، تربَّع الملك الصليبي على قمة السلطة الحاكمة، في المدينة المقدَّسة، وكان يليه في السلطة والنُّفوذ من كبار الأمراء الإقطاعيين (البارونات) موزَّعين على أربع إقطاعيات كبيرة¹⁴، إضافة إلى ذلك ضمَّت مملكة بيت المقدس اثنتي عشرة إقطاعية صغيرة، مُبِحَتْ لاثني عشر أميراً إقطاعياً¹⁵.

ب_ طبقة رجال الدين اللاتين:

تعدَّ بطرياركية بيت المقدس الأرثوذكسية، ورجال الدين فيها أحدَ ضحايا الحملة الصليبية الأولى، وبعد أن سقطت المدينة الأولى بيد الفرنجة، تعرَّض المسيحيون الشرقيون بمعاملة قاسية جداً على أيدي إخوانهم اللاتين، حيث تمَّ استبعاد رجال الدين الأرثوذكس كافةً، من كنيسة القيامة، وسلُبهم حقوقهم الدينية فيها¹⁶، وعاش المسيحيون الشرقيون، في بداية حكم الفرنجة فترة سلْبٍ لحقوقهم وكرامتهم، وتعرَّضوا لأبشع أعمال الاضطهاد¹⁷. كما تمَّ

13. عرَّفت فلسطين هذا النظام الإقطاعي قبل قدوم الصليبيين، وتحديدًا زمن السلاجقة الأتراك، حيث طبَّقوا نظام الإقطاع الحربي في النصف الثاني من القرن الخامس هجري/ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، ولذلك أصبح من السهل أن يحلَّ الفارس الصليبي محلَّ الفارس السلجوقي دون أن يُحدث اضطرابًا خطيرًا في فلسطين.

14. وهم سيّد بارونية صيدا، وأمير قنتية يافا، وأمير الجليل، وأمير الكرك والشوبك، حيث كان هؤلاء الأمراء ينافسون الملك بما كان تحت إمرتهم من الموظَّفين الكبار.

15. وهذه الإقطاعيات: هي نابلس، والخليل، وألد، وبيسان، وحيفا، وكيسارية، وأرسوف، وبتي، والقيمون، وأسكندرونة، وبانسات، ودير البلح، وبيروت.

16. أسامة بن منقذ (ت584 هجري/1188 ميلادي) مؤيد الدولة أبو المظفر ابن مرشد الكناني الشيرزي، كتاب الاعتبار، أو حياة أسامة ابن منقذ. تحقيق ونشر فليب حنّي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت، ص134. راجع أيضًا محمود الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص80.

17. Runsiman,S,A,Histore,vol.2,p68 (5).

إلغاء البطريركيّة الأرثوذكسيّة في كنيسة بيت المقدس، وإحلال بطريركيّة كاثوليكيّة بدلاً منها.¹⁸

ولم يكتفِ رجال الدين الفرنجة بإبعاد المسيحيين الشرقيين من كنيسة القيامة، وإلغاء دور البطريرك الأرثوذكسيّ فحسب، بل تمادوا إلى طردهم من أديرتهم وأملاكهم الكنسيّة في بيت المقدس¹⁹، كما استولوا على أموالهم، وممتلكاتهم، وعقاراتهم²⁰، قبل أن يتمّ طردهم من المدينة المقدّسة بحجّة أنّه لا يسمح لغير اللاتين بالعيش فيها، على حدّ قول وليّم الصوري²¹.

- 8 -

ج- طبقة البرجوازيين:

شكّلت طبقة البرجوازيين، في مملكة بيت المقدس اللاتينية، الغالبية العظمى من الشعب الفرنجيّ، فهي طبقة أدنى من طبقة النبلاء، وأقلّها شأنًا ومنزلةً، وكانوا يمثّلون الغالبية العظمى من الأوروبيين الذين شاركوا في الحملة الصليبيّة الأولى، واستولوا على بيت المقدس، واستوطنوا فيها²²، وتعود جذورهم في أوروبا إلى أصول ريفيّة من الفلاحين جاءوا من شمال فرنسا، ومن إيطاليا²³، كم عرفت هذه الطبقة من قبل بعض الباحثين

18. سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص471.

19. Praver, the laten kingdom, p219.

20. Richerd, j, the political and Eccesiaticl .

21. سعيد عاشور، المرجع نفسه، ج1، ص471.

- (الناصر صلاح الدين، الدار المصريّة للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965).

- (الحركة الصليبيّة صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربيّ، ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة 1978).

22. سعيد البيشاوي، الاستيطان الفرنجيّ في بيت المقدس والمناطق المحيطة بها 1187-1199 ميلاديّ، مجلّة الشعراء، مجلّة فصلية ثقافية تصدر عن بيت الشعر، رام الله، فلسطين، خريف 2003 ميلاديّ، ص119؛ جلال سلامة، الاستيطان، ص156.

23. Praver, j, the latin kingdom, p75.



بالطبقة الوسطى، والتي أصبح لها دورٌ اقتصاديٌّ واضح في بيت المقدس²⁴ ومحيطها، في أثناء الحكم الفرنجيّ.

د. طبقة الأفراخ:

ظهرت هذه الطبقة الاجتماعيّة في مُدُن المملكة الصليبيّة، ومن بينها مدينة بيت المقدس، حيث كان لها سماتٌ وميّزات مختلفة عن بقية الطبقات الاجتماعيّة الأخرى²⁵، فبعد أن أحضر الملك بلدوين الأول المسيحيين الشرقيين إلى بيت المقدس؛ للعيش في هذه المدينة للتغلب على نقص العنصر البشريّ فيها، كان من الطبيعيّ أن يتمّ الاختلاط بين فئات المجتمع الفرنجيّ، في القدس، سواءً المسيحيون الغربيون، والمسيحيون الشرقيون، وقد نتج عن هذا الاختلاط، زواج الفرنجة من المسيحيّات الشرقيّات، وبخاصّة المسيحيّات السُوريّات والأرمنيّات²⁶، ما أدّى إلى ظهور جيل جديد عرف باسم المولودين الأفراخ²⁷. Pullani. وبحكم كون الأمهات مسيحيّات شرقيّات، فقد تأثرت هذه الطبقة بالعادات والتقاليد الشرقيّة، فألّفوا المسلمين، وأقاموا معهم علاقاتٍ بعيداً عن روح الكراهية والحرب .

- 9 -

ه. طبقة الأقيان:

شارك الأقيان بأعدادٍ كبيرة في الحملة الصليبيّة الأولى، وكانوا منظمين في صفوف المحاربين المشاة، حيث اتفق الصليبيون فيما بينهم على أن أيّ فردٍ من الأقيان سيشارك في الحملة المتّجهة صوب المشرق الإسلاميّ، فسوف

24. السيّد الباز العريني (نموّ طبقة النبلاء الإقطاعيين بمملكة بيت المقدس، في القرن الثاني عشر الميلاديّ، مجلة كليه الآداب، جامعة القاهرة، مج 20، العدد الثاني، 1958 ميلاديّ، ص 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

25. حسن أحمد البطاوي، التباين الاجتماعي والخلافات المذهبية في المجتمع الصليبيّ .

Fulcher of Chartres, AHistory p37 .26

Fulcher of chartres, op.cit.p371 .27

ينال حرّيته فوراً، حتّى أصبح هذا العُرف قانوناً²⁸، ولهذا فإنّ هؤلاء الأقيان أصبحوا مواطنين أحراراً، وتملّكوا بيوتاً في بيت المقدس، بموجب قانون الغزوة، بكلّ ما تحويه من أثاث ومُدخرات وهكذا، فبعد أن كانوا أقياناً فقراء، أصبحوا أغنياء حرّين؛ بفضل سيطرتهم على بيت المقدس، ومحيطها.²⁹

المسيحيون الشرقيون

العلاقات بين الصليبيين والمسيحيين الشرقيين في بيت المقدس:

لعب المسيحيون الشرقيون دوراً هاماً في الحياة العامة في مدينة بيت المقدس ومحيطها طيلة فترة الحكم الإسلامي، وبخاصة عندما خضعوا لحكم الدولة الفاطمية والسلجوقية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي³⁰ حيث ارتبطوا مع المسلمين برابطة التاريخ المشترك، وروابط اللغة والعادات والتقاليد والتعايش القائم على أسس السلم والتعاون والتسامح والتعاقد في الدفاع عن المدينة المقدسة، فاصبحوا يشكلون جزءاً من النسيج الاجتماعي والديني في المدينة المقدسة³¹، على الرغم من محاولات الصليبيين استغلال المسيحيين في هذه المدينة ليشكلوا منهم مادة تحريضية تعبوية، من أجل حشد أكبر عدد ممكن من الأوروبيين لمشاركتهم في حملتهم الصليبية باتجاه المشرق الإسلامي تحت شعار انقاذ المسيحيين الشرقيين من ظلم وبطش الحكم الإسلامي³².

28. حسن احمد البطاوي، التباين الاجتماعي، ص92 التباين الاجتماعي والخلافات المذهبية في المجتمع الصليبي في بلاد الشام 1097-1187م/491-583 هجري. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعه القاهرة، 2000م

29. Praver,J,the Latin kingdom,p77

30. راجع الفصل الثاني من هذه الدراسة، التي تناولت احوال النصارى في بيت المقدس في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

31. فيليب حتى، تاريخ سوريا، ج2، ص89-99 تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، جزءان، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت، 1958م.

32. William of Tyre, A Histore, vol. i, p67



طوائف المسيحيين الشرقيين في بيت المقدس ومحيطها، فترة الحكم اللاتيني:

استقرَّ في بيت المقدس طوائفٌ مسيحيةٌ عدَّة، تنحدرُ من سُلالاتٍ عرقيَّةٍ وجنسيَّاتٍ، وقوميَّاتٍ مختلفة، منها مَنْ استقرَّتْ في المدينة، بعد موجاتٍ غزويَّةٍ متعاقبة، وهناك جماعاتٌ أخرى جاءوا إلى بيت المقدس لمكانتها الدينيَّة³³، وكان السَّريان أكثرَ طائفةٍ دينيَّةٍ عدداً، تليها طائفةُ الموارنة، حيث كانت أقربَ الشُّعوب إلى السَّريان، إضافةً إلى الأرمن والرُّوم البيزنطيِّين، أمَّا الكرج، والأقباط، والأحباش، فإنَّها طوائفٌ لا يرجع أصولها إلى عِرْقٍ واحد، ولهذا فإنَّهم غير متماسكين، ومختلفين في مذهبيهم؛ رغمَ أنَّ غالبيَّتهم ينتمون إلى الكنيسة الشَّرقيَّة الأرثوذكسيَّة³⁴.

السَّريان :

وتعدُّ طائفةُ السَّريان من أهمِّ الطوائف المحليَّة المتواجدة في بيت المقدس³⁵، فترة الحكم الفرنجيِّ للمدينة، وترجع أهميَّة هذه الطائفة؛ نظراً لدورها في الصِّراع الإسلاميِّ الفرنجيِّ، حيث إنَّ قسماً كبيراً من أبنائها قدَّمتِ العون والمساعدة للفرنجية؛ حتَّى تمكَّنوا من السَّيطرة على المدينة³⁶، مُعتقدين أنَّهم سوف يحظُّون بمكانة رفيعة، وبحكم دينيِّ مسيحيِّ وفَقِّ قناعتهم ومبادئهم، ورغمَ ذلك فقد ساءت أحوالهم، حينَ عمَلَ أتباع هذه الطائفة داخل المدينة، بأعمال النَّظافة، والأعمال الشَّاقة الأخرى التي امتنَّعَ الفرنجة عن

33. الأب جرجس داود، أديان العرب قبل الإسلام، ط1، المؤسَّسة الجامعيَّة للدراسات والنشر، بيروت 1981 ميلادي، ص74-75؛ هاني أبو الرِّبِّ، فلسطين في صدر الإسلام، ص35، 72.

34. كلود كاهن، الشَّرْق والغرب زمن الحروب الصَّليبيَّة، ترجمة: أحمد الشَّيخ، الطبعة الأولى، دار سيناء للنشر، القاهرة، 1995، ص215؛ حسن أحمد البطاميِّ، المرجع نفسه، ص79؛ ماهر أبو السعيد، مدينة القدس، ص157.

Aibert dAix, Historia Hierosoiymitana, p644. 35

Ibid , p644. 36

العمل بها³⁷، وأتهموا من قبيل الصليبيين بالخيانة والغدر، ومساعدة المسلمين؛ ولهذا ضاقت بهم الحياة؛ جرأء المعاملة السيئة التي عوملوا بها، من قبيل الفرنجة، فهجر عدد كبير من هذه الطائفة مدينة بيت المقدس إلى المناطق الأخرى الخاضعة للحكم الإسلامي، مفضلين العيش مع المسلمين على العيش مع أبناء جلدتهم.

طائفة الموارنة:

أشاد المؤرخ الصليبي وليم الصوري بالموارنة، وذكر أنهم من المسيحيين الذين كانوا يعيشون على قمم جبال لبنان الشاهقة المطلّة على المدن الواقعة باتجاه الشرق، وأظهروا الود للفرنجة، وسخروا أنفسهم في خدمتهم، وعملوا معهم، كمرشدين، وأدلاء، كما عملوا كأطباء، ومترجمين للجيش الصليبي، وقدموا لهم كل مساعدة في أثناء زحفهم نحو بيت المقدس³⁸. وصرح أن عددهم تجاوز أربعين ألف نسمة يعيشون في نواحي أسقفية جبيل والبطرون، وطرابلس، عند سفح جبال لبنان، ووصفهم بأنهم شعب محارب قوي الشكيمة، ومقاتلون أشداء³⁹.

كانت طائفة الموارنة من أوائل الفرق المسيحية الشرقية التي لبّت نداء الملك الصليبي بلدوين الأول للقدوم والإقامة، في مدينة بيت المقدس، وأعلنوا إيمانهم بالكاثوليكية، واتباع عادات كنيسة روما⁴⁰.

37. الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص 10

38. William of Tyre, A History, vol. 2, p. 459.

39. الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص 123

40. Aibert dAix, Historia Hierosoiymitana, p. 463.



طائفة الاحباش:

تواجدت هذه الطائفة في مدينة بيت المقدس، في أثناء الاستيلاء الفرنجي⁴¹، حيث يعود وجود هذه الطائفة في بيت المقدس بعد أن انتصرت، في القرن الرابع الميلادي بوقت قليل. وجاءت إلى المدينة بوازع ديني، وعاشت فيها، وامتلكت الكنائس والأديرة، إلا أنهم أضاعوها، ولم يبق في المدينة إلا دير الحبش الملاصق لكنيسة القيامة⁴²، ولم يكن هناك وجود كثيف لهذه الطائفة، فترة الحكم الفرنجي للمدينة، ويعتقد الباحث أن هذا الوضع يعود إلى سياسة اللاتين في معاملة من يخالفون مذهبهم الديني⁴³، الأمر الذي لم تتقبله طائفة الاحباش، فقلَّ عددها، وهاجروا وفضلوا العيش بعيداً عن الحكم الفرنجي، ومن الطوائف المسيحية الشرقية التي تواجدت في بيت المقدس، قبل وقوعها تحت حكم الفرنجة، طائفة البعاقبة، وهي من أكثر الطوائف الشرقية مناوأة ومخالفة لتعاليم الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، ولهذا فقد حظوا بمعاملة ودية من قبل الفرنجة؛ رغم قلة دورهم، وأهميتهم السياسية والعسكرية.

- 12 -

الأقباط:

قدّموا من مصر إلى بيت المقدس، في منتصف القرن الرابع الميلادي، عندما جاءوا لحضور تدشين كنيسة بيت المقدس التي بنتها الملكة هيلانة، عام 335م، ثم استقرّوا فيها، منذ ذلك التاريخ، ومن هنا جاء احترام القبط لبيت المقدس. وتحتّم الكنيسة القبطية على أتباعها، في مصر، وفي أماكن تواجدهم، زيارة الأراضي المقدسة، ومن لم يستطع ذلك فعليه أن ينفذ

41. Penvinsiti.M.op.sit.p17

42. عارف العارف، المسيحية في القدس، ص 127 وزارة الثقافة، عمّان، 2009م.

43. جورج طاريف، المسيحيون في القدس، ص 661.

ليها القرايين⁴⁴، تملك الأقباط أديرةً وكنائسَ عدةً في بيت المقدس، منها ديرُ مار أنطونيوس، ويضمُّ كنيستين، وديرُ السلطان، وفيه كنستانٍ أيضًا، كما يملكون أماكن مخصّصة في كنيسة القيامة، وهي كنيسة صغيرة ملاصقة للقبر المقدس، من جهة الغرب، يُسمونها كنيسة السيّدة مريم العذراء⁴⁵. وجديرٌ ذكره أنّ الصليبيين منعوا طائفة الأقباط من دخول مدينة بيت المقدس، والحجّ في الأماكن المقدسة، حيث عدّوهم هراطقة⁴⁶، ومخالفين لهم.

ومن خلال ما تمّ عرضه، يخلُصُ الباحث إلى أنّ عديدًا من الطوائف المسيحية الشرقية الأرثوذكسية قد تعرّضت لاضطهادٍ من قبل الفرنجة، والكنيسة الكاثوليكية، وعمولوا بازدراء، ليس بسبب الاختلاف المذهبي والعِرقيّ فحسب، بل إنّ الفرنجة لم يثقوا بأتباع هذه الكنيسة، وبخاصّة العرب منهم، ونظروا إليهم نظرة شكٍّ وريبة، وعاملوهم كمواطنين من الدرجة الثانية، في المجتمع اللاتيني في بيت المقدس، وقربوا إليهم النصارى الذين لا ينحدرون من أصول شرقية، كالجورجيين، على سبيل المثال لا الحصر؛ لاعتقادهم بوجود روابطٍ بينهم وبين الحكّام المسلمين، بل إنهم استخدموهم في حروبهم ضدّ المسلمين.

-13-

المسلمون:

أمّا عن طبقة المسلمين، في بيت المقدس، فقد تعرّضت هذه الطبقة إلى مجزرة رهيبة، بعد استيلاء الفرنجة عليها، وتوغّلهم فيها، في الحملة الصليبية الأولى، في شعبان 492 هجري/ 1099 ميلادي، حيث أفضت إلى خلّوها من

44. عارف العارف، المرجع نفسه، ص128، المفصل في تاريخ القدس، ص760.

45. عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997 ميلادي، ص26.

46. أبو مفرح الإسكندراني، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المعروف بسيرة البيعة المقدسة.



السُّكَّانُ الْأَصْلِيِّينَ، بعد أن عَمَّرَهَا المسلمون، وَسَطَّرُوا فِيهَا تَارِيخًا مَجِيدًا، بعد أن تفاعلوا مَعَ أبنَاءِ دِينِهِمْ، وحضارتِهِمْ، في عَالَمِهِمُ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ، خمسة قرون ماضية، وبعد هذه المذبحة أصبحت مدينة بيت المقدس مدينةً لاتينية غربيَّةً، يسكنها شعبٌ غريب عليها، لا يُرْتَبَطُ فيها بشيءٍ من الماضي أو الحاضر، كما هو حالهم اليوم، حيث تخضع للاحتلال الصَّهْيُونِيِّ الْغَرَبِيِّ مرَّةً ثانية⁴⁷.

على أيَّة حالٍ، جاءت هذه المذبحة المرؤعة لتؤكد على أن الفرنجة قد خطَّطُوا لها من قَبْلُ؛ للقضاء على الوجود الإسلامي، داخل مدينة بيت المقدس؛ كي تفتَحَ المجال للفرنجة المشاركين، في الحملة الصليبيَّة، للاستحواذ على المدينة، وتملكها، والاستقرار فيها، وتحويلها إلى مدينة فرنجيَّة خالصة⁴⁸، تكون مركزًا وقاعدة لهم لشنِّ هجوم عسكريٍّ واسع النطاق على ما تبقى من مُدُنٍ وقرى عربيَّة، ومن أجل إيجاد حيِّزٍ جغرافيٍّ للمملكةِ الفرنجيَّة تُحقِّق نوعًا من التوازن أو التفوق السُّكَّانِيَّ لهذا الكيان الوليد⁴⁹.

اليهود ومصيرهم فترة الحكم الفرنجي للمدينة المقدسة:

عاش اليهود في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، في مدينة بيت المقدس، وتمتعوا بحريَّة تامَّة في تأدية شعائرهم الدينيَّة، وممارسة حياتهم اليوميَّة، كبقية سكَّان المدينة من المسلمين والنصارى، في ظلِّ الحكم الإسلامي، وكانوا يُقيمون في حيٍّ خاصٍّ بهم، سُمِّيَ حارة اليهود أو الحيِّ اليهوديِّ.

47. لمعرفة المزيد حول هذه المجزرة، راجع ريموند إجيل، تاريخ الفرنجة، حُزاة بيت المقدس، ص 247.

48. نقلًا عن حسين عبد الوهاب، دراسات في التَّاريخ الاقتصاديِّ للحروب الصليبيَّة.

49. ميخائيل زابوروف، الصليبيُّون في الشَّرق، ص 123.

سكّان بيت المقدس بعد تحريرها من الفرنجة، عام 583 هجري/ 1187 ميلادي:

النصارى:

حرّر صلاح الدين الأيوبي مدينة بيت المقدس، عام 583 هجري/ 1187 ميلادي، فغادرها الصليبيون بعد دفع الفدية المتفق عليها، مع صلاح الدين⁵⁰، وبقي فيها المسيحيون الشرقيون الذين كانوا يُقيمون في حيّهم الواقع في الجهة الشماليّة من المدينة، وبعض رجال الدين اليونانيّين، إضافةً إلى الكرج، والأرمن الذين ساعدوا صلاح الدين، في أثناء حصار المدينة.⁵¹

- 14 -

أحوال المسلمين بعد التحرر

عندما تمّ تحرير المدينة من الفرنجة، بدأت أعداد كبيرة من المسلمين تتطّلع إلى العودة إلى آبائهم وأجدادهم التي هجّروا منها، إلى جانب قسم كبير من العساكر والموظّفين المدنيّين، وعائلاتهم، وتوافد إلى المدينة الفقهاء، والعلماء، والخطباء، والمؤدّنون، والوعاظ، وجموع غفيرة من العالم الإسلامي، حيث سكّن هؤلاء جميعاً، في محيط الحرم القدسي، إضافةً إلى مناطق مختلفة من حيّ البطريرك⁵².

اليهود:

وتوافد إلى المدينة المقدّسة مجموعات لا يُستهان بها من اليهود بعد عملية الاسترداد والتحرير، بقيادة صلاح الدين الأيوبي، الذي أصدر مرسوماً سمح

50. بهاء الدين بن شدّاد، النوادر السلطانية والمعاسن اليوسفيّة .

51. العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص128

52. ميخائيل مكسي إسكندر، القدس عبر التاريخ، مراجعة وتقديم الأنبا غريغوريوس، القدس، 1972، ص63.



فيه لليهود بالعودة إلى بيت المقدس⁵³، حيث حضروا إليها من المَدُن التي كانت تحت حُكم المسلمين، في ذلك الوقت، إضافةً إلى يهود أوروبا⁵⁴. وأسكنهم حياً خاصاً بهم⁵⁵؛ تقديرًا لهم، وتعويضًا عن مآسيهم التي ذاقوها، إبان الحكم اللاتيني، ويعتقد الباحث أن السلطان صلاح الدين بتسامحه هذا، قد برهن للعالم أجمع بأن المسلمين عندما يحكمون مدينة بيت المقدس، فإن سياستهم تقوم على مبدأ قبول الآخرين أبناء الديانات السماوية، انطلاقًا من عقيدتهم السَّحاء.

لقد استمرَّ الوجود الصليبيُّ في مدينة بيت المقدس، ما يقارب ثمانٍ وثمانين سنةً، حيث ارتكبوا المذابح بحق المسلمين واليهود على السَّواء، ولم يُحاول الفرنجة تحقيق الاندماج الاجتماعيِّ مع هؤلاء السُّكَّان عن طريق تحويلهم إلى المذاهب الكاثوليكية، ويمكن تفسير ذلك أنه كان من المناسب للفرنجة، الإبقاء على هؤلاء السُّكَّان المحليين بكونهم مصدرًا رئيسًا من مصادر العيش، والطعام للصليبيين، ولكن هذا لا يبرر معاملتهم العنصرية بحق كلِّ مَنْ هو ليس فرنجيًّا، حيث عاملوهم كمواطنين من الدرجة الثانية.

-15-

الخاتمة

استأثرت الدراسات الحضارية باهتمام الباحثين، في الشَّرق والغرب، على حدِّ سواء، على رغم الصُّعوبات الجمة التي يتعرَّض الباحثون لها، في أثناء

53. عارف العارف، تاريخ القدس، ص79.

54. مصطفى الحيارى:

- الإمارة الطائفة في بلاد الشَّام، (ط1 وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1977م).

- القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، مكتبة عمان، عمان، 1994.

- مدينة بانياس في القرن السادس الهجري/ الثاني الميلادي، مجلة دراسات، م13، الترجمة العربية، ط12، عمان، 1986م.

55. سعيد عاشور:

- النَّاصر صلاح الدين، الدَّار المِصْرِيَّة للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965.

- الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي، ط3 القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.

إعدادهم بوحوثهم، ولما كان موضوع البحث يُعالج النُظم والتغيّرات الإداريّة، في بيت المقدس ومحيطها، في القرنين الخامس والسادس الهجريين، فقد توصلتُ خلال إعداد البحث إلى عدّة نتائج مهمّة تُلقى الضوء على بعض الجوانب الخافية، حول النُظم الإداريّة في القدس، في القرنين المذكورين، وبخاصّة بعد الاستقرار الفرنجيّ، في المدينة المقدّسة، حيث حدثت تحولات أساسيّة، في وظائف النُظم الإداريّة، فقد تمّ إعداد نظام حكم وإدارة يتوافق وطبيعة الحركة الصليبيّة التي طبقت النظام الإقطاعيّ الغربيّ الذي كان سائدًا في الغرب الأوروبيّ، إنّ ذلك، والذي يقوم على قاعدة أنّ الملك هو من يحكّم بوساطة الأمراء الذين يملكون إقطاعات ملكيّة كاملة بعد أن منّحها لهم الملك الفرنجيّ.

وتوصلتِ الدّراسة إلى أنّ الفرنجة قاموا بفصل المسيحيين الشّرقيّين عن المسيحيين الغربيّين وأعطوا المسيحيين الغربيّين جميع المنح والإقطاعيّات في بيت المقدس، في الوقت الذي أعان فيه المسيحيون الشّرقيّون؛ نتيجة اضطهاد الفرنجة لهم، بعد أن عدّوهم مواطنين من الدّرجة الثّانية كبقية أتباع الديانات الأخرى؛ حسَب القوانين التي أقرّوها في بيت المقدس، كما قام رجال الدين اللّاتين بتحويل الكنائس والأديرة الأرثوذكسيّة إلى أديرة وكنائس لاتينيّة، وفضلاً عن ذلك اهتمّوا بالجانب الاقتصاديّ، وجمع المال أكثر من اهتمامهم بالجانب الدّينيّ؛ بدليل أنّ الأموال التي كانت تأتي من الغرب الأوروبيّ بدعم الجهود الحربيّ والعسكريّ، نجد أنّ بطريرك بيت المقدس كان يحتفظ بها ويخزنها في كنيسة القيامة؛ رغم حاجة الملك الصليبيّ الماسّة لها؛ لدفع مرتبات الجنّد، واهتمّوا أيضاً، بفرض ضرائب خاصّة تعود إلى خزينة الكنيسة المتمثّلة في ضريبة العُشر على جميع المنتوجات الزراعيّة، كما يعتقد الباحث أنّ الصّراع الذي كان قائماً بين بطريرك أنطاكية وبطريركية بيت المقدس، كان محوّرهُ من أجل الاستحواذ والسّيطرة على مينائيّ عكا وصُور التّجاريّين، ليس إلّا، ولم يكن الخلاف



بوازعٍ دينيٍّ حول إدارة الكنائس والأسقفيات، من أجل خدمة أتباع تلك الكنائس والأديرة .

ومما يؤكدُ البُعدَ الاقتصاديَّ، حول المشروع الفرنجيِّ، قيامهم بسرقنة محتويات المساجد الإسلاميَّة في بيت المقدس، كالمسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، حيث أقدمَ الفرنجة على سرقنة العشرات من القناديل الذهبية والفضية، عدا بقيَّة المحتويات الماديَّة الثمينة الأخرى، وبناءً على ما تقدَّم وَجَبَ على الباحثين إعادة النظر في عدِّ العاملِ الدينيِّ من العوامل التي أدت إلى قيام الحركة الصليبيَّة، من أجل إنقاذ المسيحيين الشرقيين من وطأة الحكم الإسلاميِّ، حيث لم يكن الدين إلا ستارًا من أجل إثارة الغرب ضدَّ المسلمين.

ومن النتائج التي توصلنا إليها وجودُ ترابط اجتماعيٍّ، بين طبقات المجتمع، في بيت المقدس ومحيطها، فترة الحكم الفرنجيِّ، ونجد هذا الأمر في طبيعة الطبقات الاجتماعيَّة التي سكنت المدينة، وبحكم أن هذه الطبقات غير مترابطة، وغير متجانسة، ومختلفة في تركيبها، وتكوينها الاجتماعيِّ، والماديِّ والطبقيِّ، أسسَ الفرنجة لكل طبقة منهم محكمةً خاصَّةً بهم، فأوجدوا المحاكم المتخصَّصة لطبقة النبلاء والبارونات، وفصلوها عن المحاكم المتخصَّصة بطبقة البرجوازيين.

- 16 -

وأوجدوا محاكمَ للسُّكَّان المحليين (مسلمين، ومسيحيين شرقيين، ويهود) عرِّفتُ باسمِ المحاكم الوطنيَّة، عدا المحاكم الكنسيَّة المتعلِّقة بطبقة رجال الدين، إضافةً إلى محاكم الهيئات الدِّينية العسكريَّة (الإسبترية والداويَّة) كما أسسَ الفرنجة محاكمَ خاصَّةً بطبقة التُّجار سُمِّيت بالمحاكم التجاريَّة، عدا محكمة السُّوق التي كانت تفصل في المنازعات التجاريَّة بين تجار المدينة.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الفرنجة قد أقرُّوا بعض الوظائف الإدارية التي كانت معروفة في المدينة، في القرن الخامس الهجريّ/ الحادي عشر الميلاديّ؛ نظراً لأنّها تخدم أهدافها، كوظيفة المُحَسِّبِ، ووظيفة التَّرجُّمان، وبقِيَت هاتان الوظيفتان تحمِلان الاسم نفسه في النُّظم الإدارية الفرنجيّة. كذلك توصلتِ الدِّراسة إلى أنّ الفرنجة اهتمُّوا بالزُّراعة، حيث قاموا بتقسيم الأراضي الزراعيّة إلى وَحَدَاتٍ عُرِفَتْ كُلُّ وَحْدَةٍ بِاسْمِ كاريوكا، وتوسَّعوا بزراعة أشجار الزَّيتون، والكَرْمَةِ، وزادوا من مساحة الأراضي الزراعيّة، وفرضوا الضُّرائب الباهظة على المزروعات، وتمادوا في فرضها على الأشجار المزروعة، قديماً بينما تمَّ تخفيفُها على الأشجار المزروعة حديثاً، كما توسَّعوا بصناعة التَّيِّبِذ ذي الجَوَدَةِ العالية التي كانت تُنتِجُه مزروعات الكَرْمَةِ في الأراضي المُقدَّسة؛ نظراً للرَّبْح الوفير الذي كان يدِرُه عليهم.

وتوصلتِ الدِّراسة إلى نتيجة مفادها قيامُ الفرنجة بإحاطة مدينة بيت المقدس، بمجموعة من المستوطنات المتعدّدة الأهداف، مثل مستوطنة البيرة والقببية، حيث كان طابعها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، عدا المستوطنات ذات الطَّابع الاقتصاديّ، مثل مستوطنة قلنديا والرَّام، وجفنا، وسِنْجَل، وكَفْر مالك، وغيرها، حيث اشتهرت هذه المستوطنات بالإنتاج الزراعيّ، والصِّناعيّ الذي يخدم أهدافهم الاستيطانيّة.

أمّا على صعيد التَّجارة الخارجيّة، فنجد أنّها لم تنقطع بين الفرنجة والمسلمين؛ رغم وجود الحروب بينهما، وهذا يدلُّ على أهمّيّة الجانب الاقتصاديّ للمشروع الفرنجيّ.

أمّا على الجانب العسكريّ، فنجد أنّ الفرنجة قد أقاموا القلاع والأبراج العسكريّة، داخل المدينة، وفي محيطها، وكانوا بذلك يُعوضون النقص الحادّ بالعنصر البشريّ الذي عانت منه المدينة، طيلة فترة وجودهم فيها، فعدا الاستخدامات العسكريّة للقلاع، نجد أنّ الفرنجة قد استغلُّوها لأهداف اقتصاديّة واجتماعيّة بحتة، حيث قاموا بتوطين طبقة البرجوازيين في المستوطنات، التي أقاموا فيها تلك القلاع والأبراج المحاذية لها، وشجَّعوهم



على زراعة الأراضي، كما قاموا بتحصيل ضريبة المكوس بوساطة القلاع الخارجية المحيطة ببيت المقدس. وقد توصلنا أيضاً، إلى أن الفرنجة اعتمدوا على عدة فرق عسكرية، كفرق الفرسان، وفرق المشاة، واعتمدوا على التعبئة العامة في حالات الاستنفار العام، كما ضم الجيش في صفوفه فرقاً عسكرية من المرتزقة، سواء من السكان المحليين (مسيحيين ومسلمين، أو من الأوروبيين القادمين إلى الأراضي المقدسة بقصد الحج) ويلاحظ الباحث أن هؤلاء المرتزقة لم يكن لهم دور محوري في الحروب التي خاضها الفرنجة ضد المسلمين لعدة أسباب، منها انعدام التجانس فيما بينهم، عدا أن هدفهم الأول والأخير، هو الحصول على المال بعد انتهاء المعركة، وبالتالي، فلم يكن لهم هدف مقدس يتبدلون فيه أرواحهم، ويموتون في سبيله، وربما كان هذا أحد أسباب فشل المشروع الفرنجي، في بيت المقدس.

- 17 -

واهتم الفرنجة بمسألة تسليح جيشهم، وقاموا بتطوير أسلحتهم الشخصية، وأدواتهم القتالية للتلاؤم مع طبيعة مناخ بلاد الشام الحار نسبياً؛ مقارنة مع مناخ الغرب الأوروبي، كما اهتموا بآلات الحصار، وآلات الهدم، والآلات الدفاعية، وبرعوا في صناعتها، واستخدامها في حروبهم. وقد بينت الدراسة أن الفرنجة استخدموا الإستراتيجية العسكرية طويلة الأمد، كما استخدموا التكتيك العسكري قصير الأمد في المعارك والحروب التي خاضوها مع المسلمين، من حيث تحديد توقيت المعركة، وترسيم مكانها، وتوقيت بدئها، وكيفية الخروج والانتهاج منها، إضافة إلى استخدام تكتيك المسير العسكري، والتكيز على الترابط بين فرق الجيش المختلفة وأجنحته، وعدم السماح للعدو بفتح ثغرات في صفوف جيشهم، في أثناء المسير، وغير ذلك من التكتيكات العسكرية، التي استخدموها في قتالهم للدفاع عن وجودهم في بيت المقدس.

وتوصّلت الدّراسة إلى نتيجة مفادها أنّ الفرنجة قد غيرُوا طابَعَ أبنية بيت المقدس الدّينية، والمدنيّة، والعسكريّة، وصبغ طابعها بالنّمط الغربيّ، فدخلوا الفنّ القوطيّ والرّومانسيكيّ على فنّها المعماريّ للتلاؤم مع النّمط المعماريّ الذي كان سائدًا، في الغرب الأوروبيّ في العصور الوسطى، وبهذا فقد ألغى الفرنجة الطّابع العربيّ الإسلاميّ للمدينة المقدّسة طيلة فترة وجودهم فيها، وبعد تحرير المدينة على يد جيش صلاح الدّين الأيوبيّ عام 583 هجريّ/1187م، أعاد المسلمون للمدينة طابعها العربيّ الإسلاميّ، وأزالوا بعض المظاهر التي أوجدتها الفرنجة، خاصّةً تلك المتعلّقة بالأماكن الدّينية الإسلاميّة كما، وحكمت المدينة بِنُظم إداريّة تتلاءم مع نظام الحكم والإدارة الذي طبّقه المسلمون من قبل.

المصادر والمراجع

شاكر مصطفى:

- فلسّطين ما بين العهدين الفاطميّ والأيوبيّ، الموسوعة الفلّسطينيّة، القسم الثّاني، (ط1، بيروت، 1990).
- دخول التّرك الغزّ إلى الشّام، مقال في مجلّة المؤتمر الدّوليّ لتاريخ بلاد الشّام (الأردن، 1974م).
- ابن الصيرفي، الإشارة، ص16.
- درويش النخيليّ، فتح الفاطميّين للشّام في مرحلته الأولى من 358 إلى 362 هـ (الإسكندريّة، مؤسّسة الثّقافة الجامعيّة، 1979م)، ص 341، حيث أشار الباحث إلى أنّ المصادر التّاريخيّة للدولة الفاطميّة قد أغفلت ذكرَ مدينة بيت المقدس عندما سقطت فلسّطينُ بيد الفاطميّين.

خليل عثمانة، فلسّطين ما بين العهدين الأيوبيّ والمملوكيّ (1187-1516)، (ط1، مؤسّسة الدّراسات الفلّسطينيّة، بيروت، 2006)، ص3.



- فلسطين ما بين العهدين الأيوبيّ والمملوكيّ (1187-1516)، (ط1، مؤسّسة الدّراسات الفِلسطينية، بيروت، 2006).

- فلسطين في خمس قرون من الفتح الاسلامي حتّى الغزو الفرنسي (634 هجري / 1099م)، ط1، مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2000م.

- القدس والإسلام، دراسة في قَداسَتِها من المنظور الإسلاميّ (ط1، مؤسّسة الدّراسات الفِلسطينية، بيروت، 2013م).

البلقاء: مدينة من أعمال دمشق بين الشّام ووادي القرى، قصبَتُها (عاصمتها) عمّان، وفيها قرى كثيرة، ومزارع واسعة، وسُمّيت بلقاء من البلق، وهي سواد وبياض مختلفان، والبلق أيضًا الفُسطاط. راجع ياقوت، المصدر نفسه، ج1، ص 489.

**** زعر: هي قرية أثريّة بمشارف الشّام تقع على طرف البحر الميت في وادٍ هناك، بينها وبين البيت المقدس ثلاثة أيّام، وهي من ناحية الحجاز. راجع ياقوت، المصدر نفسه، ج3، ص 142-143، محمد محمد شراب، المرجع نفسه، ص 431.

**** معان: مدينة تقع جنوب الأردنّ في طَرَفِ بادية الشّام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. راجع ياقوت، المصدر نفسه، ج5، ص 153.

شيخ الرّبوة نخبة الدّهر، ص 258 ابن خرداذبة، المسالك، حيث يقول ص 78: ثمّ إلى الرّملة مدينة فلسطين (أي عاصمتها)، كما استخدم اصطلاح كُورة بدل قسبة، فيقول كُورة الرّملة، وكُورة إيليا، وهي بيت المقدس، ص 78؛ شاعر مصطفى، فلسطين ما بين العهدين، ص 434؛ عمر الصالح البرغوثيّ و خليل طوطح، تاريخ فلسطين، (مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بور سعيد، ب.ت) ص 95؛ أحمد إيبش، دمشق في مرآة رحلات القرون الوسطى، ج1، (ط1 أبو ظبي للثقافة، والتراث، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2009م)، ص 254.

*** نابلس: تقع في وسط فلسطين، ويحدّها جنوبًا بيت المقدس، وشمالًا جنين، وهي مستطيلة قليلة العرض، سُمّيت بدمشق الصّغرى. يُنظر: المقدسيّ

البشاري، أحسن التقاسيم، ص 174؛ عبد الله عارف: نابلس، دراسة إقليمية، دمشق: جامعة دمشق، 1964م ص 34.
 المقدسيّ البشاري، المصدر نفسه، ص 73؛ اليعقوبيّ، كتاب البلدان، (ليدن، مطبعة برييل، 1893)، ص -328 329، ويُنظر أيضًا إلى حدود بيت المقدس عند ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 79؛ الإدريسيّ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص 363؛ الأصبخريّ، المسالك والممالك، (ليدن، مطبعة برييل، 1927)، ص 25، ابن حوقل، صورة الأرض، مرجع سابق، ص 58).

- 19 -

- (1) ابن القلانسيّ، ذيل تاريخ دمشق، ص 137.
- مصطفى مراد الدّبّاغ، بلادنا فلسّطين، ج 9، ق2، ص 166_168، ماهر أبو السّعيد، مدينة القدس تحت حكم اللّاتين (1099_1187م/492_583 هجريّ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمنهور، كليّة الآداب، التّاريخ، ص104
- الرّحالة المجهولون، وصف الأرض المقدّسة، ص 59
- للمزيد أيضًا رينوندا جل، تاريخ الفرنجة غُزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، 1990م، ص 258؛ سايولف، وصف رحالة الحاجّ سايولف، ص 23، وصف مدينة بيت المقدس عند الرّحالة ثيودريش، وصف الأماكن المقدّسة في فلسّطين للرّحالة الألمانيّ ثيودوريش القرن السّادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلاديّ، ترجمة وتحقيق ودراسة: سعيد البيشاوي ورياض شاهين، دار الشّروق، رام الله، فلسّطين، 2003، ص 55، 59، 57؛ يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدّسة.
- عرفت فلسّطين هذا النّظام الإقطاعيّ قبل قدوم الصّليبيّين، وتحديدًا زمن السّلاجقة الأتراك، حيث طبّقوا نظام الإقطاع الحربيّ في النّصف الثّاني من القرن الخامس هجريّ/ النّصف الثّاني من القرن الحادي



- عَشْرَ المِئَلادِيّ، ولذلك أَصِبح من السَّهل أن يحلَّ الفارس الصَّلِيبِيّ محلَّ
الفارس السُّلجوقيّ دون أن يحدث اضطرابًا خطيرًا في فلسطينَ.
- وهم سيّد بارونية صيدا، وأمير قنتية يافا، وأمير الجليل، وأمير الكرك،
والشُّوبك، حيث كان هؤلاء الأمراء يُنافسون الملِك بما كان تحت إمرتهم
من الموظَّفين الكبار.
 - وهذه الإقطاعيّات هي نابلسُ، والخليل، واللُدّ، وبَيْسان، وحيفا، وكيسارية،
وأرسوف، ونبتي، والقيمون، وأسكندرونة، وبانسات، ودير البلح، وبيروتُ.
 - أسامة بن منقذ (ت 584 هجريّ / 1188 ميلاديّ) مؤيّد الدولة أبو المظفّر
ابن مرشد الكنانيّ الشيرزيّ، كتاب الاعتبار، أو حياة أسامة بن منقذ.
تحقيق ونشر فليب حتّي، مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة، دت، ص 134.
راجع أيضًا محمود الحويريّ، الأوضاع الحضارية في بلاد الشّام في
القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، القاهرة،
1979م، ص 80.
 - Runsiman,S,A,Histore,vol.2,p68
 - سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 1، ص 471.
 - Praver,the laten kingdom,p219
 - Richerd,j.the political and Eccesiaticl
 - سعيد عاشور، المرجع نفسه، ج 1، ص 471
 - - (النّاصر صلاح الدّين، الدّار المِصريّة للتأليف والترجمة، القاهرة،
(1965)
 - - (الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي، ط3 القاهرة:
مكتبة الانجلو المصرية 1978).
 - (1) سعيد البيشاوي، الاستيطان الفرنجيّ في بيت المقدس والمناطق
المحيطة بها 1187-1199 ميلاديّ مجلّة الشُّعراء، مجلّة فصليّة ثقافيّة
تصدر عن بيت الشعر، رام الله، فلسطين، خريف 2003 ميلاديّ ص 119،
جلال سلامة، الاستيطان، ص 156.

- Prawer,j.,the latin kingdom,p75 (2)
- (3) السَّيِّدُ الباز العرينيَّ (نمُو طبقة النُّبلاء الإقطاعيَّين بمملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلاديَّ، مجلَّة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج20، العدد الثاني، 1958 ميلاديَّ، ص38
- (4) حسن احمد البطاوي , التباين الاجتماعي والخلافات المذهبية في المجتمع الصليبي .
- Fulceher of Chartres,AHistry p37 (5)
- Fulceher of chartres,op.cit.p371 (6)
- (1) حسن أحمد البطاوي، التَّباين الاجتماعيّ، ص92، التَّباين الاجتماعيّ والخلافات المذهبيَّة في المجتمع الصَّليبيّ في بلاد الشَّام 1097-1187م/491-583 هجريّ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كليَّة الآداب، جامعة القاهرة، 2000م
- Prawer,J.the Latin kingdom,p77 (2)
- (3) راجع الفصلُ الثاني من هذه الدِّراسة، التي تناولت أحوال النُّصارى في بيت المقدس في القرن الخامس الهجريّ / الحادي عَشَرَ الميلاديّ.
- (4) فيليب حتّي , تاريخ سوريا، ج2، ص89-99، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، جزآن، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت، 1958م.
- 68-William of Tyre,A Histore,vol.i,p67 (5)
- (1) الأب جرجس داود، أديان العرب قبل الإسلام، ط1، المؤسَّسة الجامعية للدراسات والنُّشر، بيروت 1981 ميلاديّ، ص74-75؛ هاني أبو الرّب، فلسطين في صدر الإسلام، ص35،72.
- (2) كلود كاهن، الشَّرْق والغرب زَمَنَ الحروب الصَّليبيَّة، ترجمه: أحمد الشَّيخ، الطَّبقة الأولى، دار سيناء للنُّشر، القاهرة، 1995، ص215؛ حسن أحمد البطاميّ، المرجع نفسه، ص79، ماهر أبو السَّعيد، مدينة القدس، ص157.



- Aibert dAix, Historia Hierosoiymitana, p644 (3)
- Ibid , p644 (4)
- (5) الفيتري, تاريخ بيت المقدس، ص108
- William of Tyre, Ahistore, vol.2, p459 (1)
- (2) الفيتري, تاريخ بيت المقدس, ص123
- Aibert dAix, Historia Hierosoiymitana, p463 (3)
- Penvinsiti.M.op.sit.p17 (4)
- (5) عارف العارف, المسيحية في القدس, ص127 وزارة الثقافة، عمان 2009م.
- (6) جورج طاريف, المسيحيين في القدس، ص661.

- 21 -

- (1) عارف العارف, المرجع نفسه, ص128, المفصل في تاريخ القدس, ص760
- (2) عبد الحميد زايد, القدس الخالدة, القاهرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1997 ميلادي، ص26
- (3) أبو مفرح الإسكندراني، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة .
- (1) لمعرفة المزيد حول هذه المجزرة راجع ريمونداجيل تاريخ الفرنجة, غزاة بيت المقدس، ص247
- (2) نقلاً عن حسين عبد الوهاب, دراسات في التاريخ الاقتصادي للحروب الصليبية.
- (3) ميخائيل زابوروف, الصليبيين في الشرق، ص123
- (4) بهاء الدين ابن شداد, النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية .

- (5) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص128.
-
- (1) ميخائيل مكسي إسكندر، القدس عبر التاريخ، مراجعة وتقديم الأنبا غريغوريوس، القدس 1972، ص63
- (2) عارف العارف، تاريخ القدس، ص79
- (3) مصطفى الحيارى:
- - الامارة الطائفة في بلاد الشام، (ط1، وزارة الثقافة والشباب، عمّان، 1977م).
- - القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، مكتبة عمّان، عمّان، 1994.
- - مدينة بانياس في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، مجلة دراسات، م13، الترجمة العربية 12، عمّان، 1986م.
- (4) سعيد عاشور:
- - الناصر صلاح الدين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965.
- - الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي، ط3 القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1978.